الخطاب الديني في مواجهة كورونا

دكتور

تامر شحات محمد المظالي

مدرس الدراسات الإسلامية

كلية الآداب – جامعة المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على مَنْ لا نبي بعده، سيِّدنا ونبينا محمَّد بن عبد الله الرَّحمة المهداة، والنعمة المسداة، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومَنْ اهتدى بهديه واتَّبع منهاج شرعه إلى يوم الدين، وبعــدُ:

فلقد أظل العالم كله مصاب جلل، وجائحة اجتاحت الجميع، وقلبت الموازين الدولية، وهزت عروش المؤسسات الاقتصاديَّة، وأرهقت المنظومات الصحيَّة، وحصدت الأرواح البشرية، إنَّه الوباء العالمي المعاصر (فيروس كورونا الجديد) الذي يرمز له بـ(COVID-١٩) وهو اختصار لـ (Corona Virus Disease) أي مرض كورونا، والعدد (١٩) نسبة لعام ٢٠١٩م الذي ظهر المرض في نهايته.

وقد أصاب هذا الفيروس النَّاس بالهلع والخوف والقلق، واتخذت الدول الإسلامية جملةً من التدابير الوقائية على المستوى الديني للحد من الإصابة به لم تشهد لها مثيلًا في القرون الأخيرة، تمثَّلت في تعطيل الجمع والجماعات في المساجد، وإغلاق الحرمين الشريفين، واشتغلت القطاعات المجتمعية في مكافحة هذا المرض وأعراضه وآثاره على الصعيد الصحي والاجتماعي والسياسي والنفسي والأمني، وكذلك على الصعيد الديني والشرعي والدعوي.

والخطاب الديني جزءٌ من الخطاب العام الذي من المفترض أن يكون تعبيرًا عن حاجات المجتمع وأزماته المختلفة، وقد شغل مساحة هائلة في أزمنة الأوبئة والأزمات، لما له من أثر فاعل ومهم في الضبط المجتمعي لمواجهة الوباء؛ من خلال إعادة الاستقرار النفسي والطمأنينة لأفراد المجتمع، ولما يمثله هذا الخطاب في نظر الأمّة من التّعبير عن أوامر الدّين وأحكامه.

و ليس من مهام الخطاب الديني في ظل هذا الوباء تقديم تفسير ديني له، وإنما بيان منهج الدين في مواجهته، وبحث كل السبل التي تعين على تجنب انتشاره، والحيلولة دون أذية الخلق به.

ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية تحت عنوان (**الخطاب الديني في مواجهة كورونا**)؛ لتكشف عن أهمية الخطاب الديني، ودوره في ظل هذه الجائحة، ومنهجه في مواجهتها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أهمية الموضوع الذي يتناوله وهو الخطاب الديني وكبير أثره، كما تبرز أهميته في أنه يتطرق لنازلة وقعت على العالم أجمع شرقه وغربه عربه وعجمه، فكان لابد من دراسة ترصد منهج الخطاب الديني في مواجهة مثل هذه الأوبئة، ومدى مسايرته للواقع المعيش.

أهداف البحث:

تتلخص أهداف البحث في الآتي:

١- الوقوف على ماهية الخطاب الديني.

٢- الوقوف على إشكاليات الخطاب الديني في تفسير الأزمة.

٣- بيان منهج الخطاب الديني في مواجهة الوباء.

خطة البحث:

وسوف أتناول -بمشيئة الله تعالى- هذا الموضوع من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الخطاب الديني.

المبحث الثاني: تنوع الخطاب الديني.

المبحث الثالث: منهج الخطاب الديني في مواجهة فيروس كورونا

المبحث الأول
مفهوم الخطاب الديني

الخطاب في اللغة: مصدر خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة، وهو يعني: الكلام بين اثنين[1].

وقد توسع مدلول الخطاب في عرف الناس اليوم فأصبح يشمل كل كلام يوجهه صاحبه نحو غيره، سواء أكان شفاهيًّا أم مكتوبًا، فأصبحوا يسمون الكتاب الموجه لشخص أو جهة خطابًا لقيامه مقام الكلام الموجه نحو الغير. مع أن اللغة تفرق بين المعنيين.

ووصف الخطاب (بالديني) نسبة إلى الدين. والدين في اللغة: الجزاء والمكافأة، يقال: دنته بفعله، أي: جزيته، ويوم الدين: يوم الجزاء. ومنه قوله تعالى: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾ أي: محاسبون مجزيون.

ويطلق بمعنى الطاعة، يقال: دنت له، أي: أطعته. وجمعه أديان[2].

وهذه المعاني جعلها **ابن فارس** ترجع إلى أصل واحد وهو جنس من الانقياد والذل[3]. وسميت الأديان السماوية دينًا؛ لأنها تجعل أهلها مطيعين وخاضعين لتعاليمها وأحكامها.

والمراد بالدين عند إطلاقه في تعبيرات المسلمين: الإسلام، وأما غير المسلمين فقد يريدون عموم الأديان، وقد يقصدون الإسلام دون غيره.

الخطاب الديني:

يطلق الخطاب الديني على أحد معنيين، أحدهما عام والآخر خاص.

المعنى الأول: أن الخطاب الديني كل سلوك أو تصرف يكون الباعث عليه الانتماء إلى دين معين. سواء أكان خطابًا مسموعًا أو مكتوبًا أو كان ممارسة عملية.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٩٨)، لسان العرب لابن منظور (١/ ٣٦١) مادة (خطب).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ١٦٩) مادة (دين).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣١٩-٣٢٠) مادة (دين).

وهذا الإطلاق العام نجده في كتابات غير المسلمين ظاهرًا. ولذا فهم يعدون كل تصرف من المسلمين يكون الباعث عليه دينيًّا لونًا من ألوان الخطاب الإسلامي.فهؤلاء لا يميزون بين سلوك المسلمين والدين الإسلامي.

المعنى الثاني: أن الخطاب الديني يراد به ما يصدر عن علماء الدين من أقوال أو نصائح أو مواقف سياسية من قضايا العصر ويكون مستندهم فيها إلى الدين الذي يدينون به[1].وهذا الإطلاق أخص من الذي قبله، وأقرب للمعنى اللغوي.

فالخطاب الدّينيّ: هو الخطاب الّذي يستند إلى مصادر التّشريع الإسلاميّ؛ وهي القرآن الكريم، والسّنّة النّبويّة، ومصادر التّشريع الإسلاميّة الأخرى.

الفرق بين الخطاب الشرعي والخطاب الديني:

يغفل بعض المثقفين عن الفرق بين الخطاب الشرعي والخطاب الديني أو الخطاب الإسلامي، فيخلط بين المصطلحين، وينشأ عن هذا الخلط بينهما مفاسد، ولذا لابد من التفريق بينهما.

والفرق بينهما باختصار شديد أن الخطاب الشرعي هو الحكم الشرعي. ولذا نجد علماء الفقه وأصوله يعرفون الحكم الشرعي بأنه: «**خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع**»[2].

والخطاب الشرعي قد يطلق على النص الشرعي من قرآن وسنة، وقد يشمل كل ما استفيد من النص.

وأما الخطاب الديني فهو فهم الفقيه للإسلام، والصيغة المعينة التي يعبر بها عن الإسلام بناء على فهمه. واتضح بذلك أن الفرق كبير بين الخطاب الشرعي والخطاب الديني، فالأول نص شرعي أو ما في حكم النص، والثاني فهم بشري لمعاني النص الشرعي[3].

---

(١) تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه (ص:٦٣١).

(٢) المحصول للرازي (١/ ٨٩)، والإحكام للآمدي (١/ ١٣١).

(٣) تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه (ص:٦٣٣).

المبحث الثاني
تنوع الخطاب الديني

من عادة بعض العلماء، أنهم كلما نزل وباء أو مرض عضال بمجتمع ما، تسابقوا إلى تقديم تفسير ديني له، وهذا ما حدث بالفعل تجاه هذا الوباء، حيث وجدنا عددًا من الخطابات المتباينة تحاول تقديم تفسير لهذا الوباء من منظور شرعي، فبعضهم زعم أن هذا الوباء **عقاب من الله تعالى أنزله على أعدائه** ، بينما يرى آخرون **أنه بلاء من الله نزل به بسبب فعل العصاة واجترائهم على الله،** وهم في ذلك لا يعدمون النص الديني الذي يحتجون به على تفسيراتهم، إلا أن العلماء المحققين يتريثون أو يتحفظون في تفسير الوباء، ولا يسارعون إلى الجزم بأنه نزل عقوبة للكفار أو العصاة، ولا ابتلاء للمسلمين وامتحانا لهم، فيقرءون النصوص الواردة في هذا الشأن، ولا ينزلون أنفسهم منزلة الله في الحكم على سبب الوباء، فإذا كان تفسير النصوص للوباء يختلف من حالة لأخرى، من نزول العذاب، ومعاقبة العصاة، وابتلاء المؤمنين، وتطهير ذنوبهم، فإن **المحققين من العلماء لا يتدخلون في إرادة الله، ولا يؤولون مراده بما ليس قطعيا ثابتا عندهم، إذ المرض والوباء في الشرع هو ابتلاء وامتحان، والابتلاء يكون بالخير والشر،** ولا تعلم المقاصد الإلهية منه، ولا يعلم أي واحدة مما ذكرته النصوص هي المتعينة بنزول هذا الوباء أو ذاك، ولا يعلم الحكمة من وراء ذلك وما إذا كان الله يريد بها تحقيق بعض المصالح أو درء بعض المفاسد.

يتضح هذا من خلال الخطاب الديني الرسمي المتمثل في دار الإفتاء المصرية، حيث جاء في جوابها عن سؤال: هل فيروس كورونا عقاب من الله تعالى؟

ما يفيد بأن الابتلاء من أقدار الله تعالى ورحمته يحمل في طياته اللطف، ويسوق في مجرياته الخير، والمِحَن تأتي في طياتها المنح، والأزمة ستمرُّ كما مرَّت قبلها أزمات، إلا أن الأمر يحتاج لمزيدٍ من الصبر والثبات.

والأوبئة التي تصيب الأمة إنما هي رحمة من الله تعالى لهم؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرها: « **أَنَّه كانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ علَى مَن**

يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فليسَ مِن عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ في بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أنَّه لَنْ يُصِيبَهُ إلَّا ما كَتَبَ اللهُ له، إلَّا كانَ له مِثْلُ أجْرِ الشَّهِيدِ»[1].

وحينما وقع الطاعون بالشام مرة، فكاد أن يفنيهم حتى قال الناس: هذا الطوفان. فأذَّن معاذ بن جبل رضي الله عنه بالناس: أن الصلاة جامعة، فاجتمعوا إليه، فقال: «**لا تجعلوا رحمةَ ربكم، ودعوةَ نبيكم كعذابٍ عُذِّب به قوم**»[2].

والنظر إلى الطاعون باعتباره رحمةً ومنحةَ ليس في ظاهره أو ذاته، إنما هو باعتبار آثاره وما يترتب عليه من الأجر والثواب.

فكل ما يصيب الإنسان من المحن والشدائد والضيق ونحو ذلك، هو في حقيقته رفعة في درجة المؤمن وزيادة ثوابه ورفع عقابه، حتى الشوكة تصيبه؛ فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِن شَوْكَةٍ فَما فَوْقَها إلَّا رَفَعَهُ اللهُ بها دَرَجَةً، أوْ حَطَّ عنْه بها خَطِيئَةً**»[3].

فابتلاء الله لعباده لا يحكم عليه بظاهره بالضر أو النفع؛ لانطوائه على أسرار غيبية وأحكام علوية لا يعلم حقيقتها إلا رب البرية.

ولا ينبغي للإنسان أن ييأس من رحمة ربه، أو أن يضجر من الدعاء، أو يستطيل زمن البلاء؛ لأنه لا يعلم حكمة البلاء، ولا يعني كنه أسراره، وأنَّ تَفَقُّدَ الله تعالى للإنسان بالمصائب والابتلاءات إنما هو رحمة بهم.

وهذا الوباء الواقع في شرق الأرض وغربها أمرٌ غيبي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، ولا يجوز لنا كبشر أن نقول على الله تعالى ما لا نعلمه، وعلى من يدّعي ذلك أن يرجع إلى الله تعالى بالتوبة الصادقة والاستغفار ويكثر من الأعمال الصالحة.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه».

(٢) أخرجه معمر بن راشد في «جامعه».

(٣) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه».

والجزم بأن الوباء عقاب من الله لا يصح؛ لأنه سبحانه لا تنفعه طاعة عباده ولا تضره معصيتهم، وأنى للخلق أن يتحملوا عقاب الله تعالى إذا أراده، بالإضافة إلى أن مثل هذه المحن والشدائد والأوبئة وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،وفي عهد السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولم يتعاملوا معه على أنه عقاب من الله تعالى أو طرد من رحمته.

وفيروس كورونا الذي أصاب الناس، هو إن كان في ظاهره بلاء من الله، إلا أنه ليس عقابًا منه سبحانه كما يدّعي البعض، بل هو رحمة للمؤمنين وبشرى لهم، وهو خصوصية لهذه الأمة المحمدية؛ لأن الشدائد تُظهر العزائم، والمحن تولد المنح، ونحن موقنون أن الله تعالى سيفرج الكروب وسيبقى الوطن محفوظًا بإذن الله من شر الأوبئة، خاصة بعد أن أدرك الناس خطر التجمعات وعرفوا الإجراءات الوقائية والتعليمات الصحية.

أما الجزم بأن الوباء عقاب من الله فهو تكهُّن بالرَّيْب ورجم بالغيب [1].

(١) فتاوى النوازل (ص:٩٤-٩٩).

المبحث الثالث
منهج الخطاب الديني في مواجهة فيروس كورونا

أشرت فيما سبق إلى أن الخطاب الديني: هو الخطاب الذي يستند إلى مصادر التشريع الإسلامي؛ وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومصادر التشريع الإسلاميّة الأخرى.

ويتمثل الخطاب الدّيني اليوم في فتاوى الفقهاء، وكتابات العلماء، وأحاديث الخطباء، وآراء ومواقف القيادات والجهات الدّينيّة. وقد صدرت عن المؤسسات الدينية الرسمية في مصر عدة مؤلفات تضمنت بيان موقف الإسلام من هذه الجائحة وقضايا المستجدة وأحكامها المستحدثة، وهي:

١-**الدليل الشرعي للتعامل مع فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩)**، إعداد: مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية.

٢- **فتاوى النوازل (وباء كورونا ١٩ -COVID)**، أ.د. شوقي إبراهيم علام، دار الإفتاء المصرية.

٣- **فقه النوازل (كورونا المستجد أنموذجا)**، أ.د.محمد مختار جمعة، وزارة الأوقاف المصرية.

٤- **منهج السنة النبوية في مواجهة الأوبئة**، إعداد: لجنة السنة بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء.

ولهذا الخطاب الديني – وبخاصة الرسمي المتمثل في الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف ودار الإفتاء- عدة جوانب في مواجهة هذا الفيروس:

الجانب الأول: الجانب الإيماني الروحي

الذي حاول من خلاله بث الأمل والتفاؤل في قلوب الناس، من خلال تأكيده أن الابتلاء سنة من سنن الله في خلقه، وتلك السنة لم يخل منها زمان، ولم يسلم منها عبد من عباد الله؛ بيد أنها تكون بالخير تارة وبالشر أخرى، بالعطاء أوقاتا، وبالحرمان أخرى، قال تعالى: ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنبياء:٣٥]

وإن كان الابتلاء يحمل الشر من وجه فإنه يحمل الخير من وجوه؛ إذ لا وجود لشر محض، ويستطيع ذوو الألباب أن يعددوا أوجه الخير في كل محنة، والله سبحانه وتعالى قال عن حادثة الإفك

في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١]

رغم ما كان فيها من الشدة والبلاء على سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وزوجه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، والمجتمع الإسلامي كله.

وقد كان من هديه -صلى الله عليه وسلم -بث الأمل ونشر الطمأنينة في أوقات الشدائد والمحن، وتلك كانت سنة الأنبياء جميعا؛ فهذا إبراهيم عليه السلام تفاءل ورجا من ربه النجاة من نيران المشركين فجعلها الله عليه بردا وسلاما.

وتفاءل يعقوب عليه السلام بعودة يوسف فجمعه الله به بعد سنين طويلة ورد بصره.

وتفاءل موسى بالنجاة وقال: ﴿كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء: ٦٢] فنجاه الله من بطش فرعون وأهلك عدوه.

وتفاءل سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبث الأمل في قلوب صحابته، فأظهر الله دينه وأعز أولياءه، وكتب لأمته الفلاح والنجاة.

وفي هذا الجانب أيضا نجد الدعوة إلى حسن الظن بالله عز وجل، مع دعائه واللجوء إليه.

فالمسلم دائما يحسن الظن بربه، ويعلم يقينا أن الله-تعالى- لا يريد بعباده المؤمنين إلا خيرا، فإن أصابهم بالأمراض، أو بنقص في الأموال، أو الأولاد، أو بأي ابتلاءات أخرى؛ فهذا تمحيص لهم، وتكفير لسيئاتهم، ورفع لدرجاتهم، فعلى العبد أن يرضى، وأن يحسن الظن بالله -عز وجل-.

والله تعالى عند ظن عبده به: ففي الصحيحين، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «**يقول الله تعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[١].

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

بل إن حسن الظن بالله تعالى من أحسن العبادات وأفضلها: فعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنّ حُسْنَ الظَّنِّ بِالله مِنْ حُسْنِ عِبادَةِ الله**».

كما ينبغي للعبد أن يتضرع إلى الله تعالى أن يرفع البلاء والأمراض، والدعاء من أجل أنواع العبادات التي يظهر فيها ذل المرء وافتقاره وتضرعه وخشوعه لله -عز وجل- قال الله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف ٥٥] أي: تضرعا وتذللا، واستكانة لطاعته.

واعتبر النبي -صلى الله عليه وسلم- الدعاء هو العبادة، فعن النعمان بن بشير-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- «**إن الدعاء هو العبادة**»، **ثم قرأ**: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر: ٦٠] (١).

ومما يدل على شرف الدعاء وعظيم شأنه وسمو قدره-ما رواه أبو هريرة-رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: «**ليسَ شيءٌ أكْرَمَ على اللهِ تعالى منَ الدُّعاءِ**»(٢)؛ لأنه يدل على قدرة الله تعالى، وعجز الداعي ومسكنته، فالله عز وجل يجبر قلوب المنكسرين، ويجيب دعاء المتضرعين، ويسمع إلحاح السائلين، ويغفر ذنوب المستغفرين(٣).

كما أشار إلى فضل الصبر على البلاء، وأن المؤمن مأجور على صبره على هذه الأوبئة والابتلاءات، فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة -رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ**»(٤).

فإذا كان المسلم مأجورا على كل همٍّ أو تعبٍ أو مرض، أو حتى الشوكة الصغيرة، فما بالنا بأجره على هذه المصائب والأوبئة الكبيرة.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٦٧، ٢٧١، وأبو داود ٢/ ٧٦ (١٤٧٩)، والترمذي ٥/ ٢١١ (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٥٠ (١١٤٦٤)، وابن ماجه ٢/ ١٢٥٨ (٣٨٢٨)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٣٣٧٠)، وقال: حديث غريب، وصححه ابن حبان برقم (٨٧٠) والحاكم برقم (١٨٠١).

(٣) منهج السنة النبوية في مواجهة الأوبئة (ص:١٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٦٤١).

وأمر المؤمن كله خير ما صبر على البلاء، وشكر على النعماء. فعن صهيب-رضي الله عنه-قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

وعن أنس-رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»(٢).

الجانب الثاني: الجانب العقدي

الذي يركز على **قضية الإيمان بالقدر** وأن ركن من أركان الإيمان، وأن كل شيء واقع بقدر الله جل وعلا.

قال تعالى : ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحديد ٢٢]

وقال جل شأنه: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التغابن ١١]

والتوكل على الله في دفع المرض والسلامة منه قبل نزوله، وفي رفعه بعد نزوله. وأن للتوكل على الله أثرا عظيما في تحقيق مطالب الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [الطلاق ٣]

وقال جل وعلا: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران ١٧٣]

مع تأكيد أن توكل العبد على ربه لا ينافي سعيه وأخذه بالأسباب الدنيوية المشروعة، بل إن الأخذ بالأسباب من تمام التوكل.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٩٦) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ".

ومن الأدلة على ذلك:

أمر الله سبحانه المؤمنين أن يأخذوا حذرهم من أعدائهم أخذا بأسباب النصر، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ**﴾ [النساء ٧١] وأن يعدوا لقتال عدوهم، فقال جل شأنه: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال ٦٠]

كذلك أمر الله سبحانه بالأخذ بالسبب في قصة ولادة السيدة مريم لسيدنا المسيح عليه السلام حين أمرها بهز جذع النخلة أخذا بسبب الرزق رغم ما يمر بمريم من ضعف وحاجة.

﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ [مريم ٢٥]

ومن ثم شرع الله لنا بذل الأسباب في جلب الخير ودفع الضر، ومن ذلك التداوي؛ أي طلب الدواء واستعماله لأجل الشفاء والتخلص من المرض(١).

فعن أسامَةَ بنِ شريكٍ -رضي الله عنه- قالَ: «**أتيتُ النبي صلَّى الله علَيهِ وسلَّمَ وأصحابُهُ كأنَّما على رؤوسِهِمُ الطَّيرُ، فسلَّمتُ، ثمَّ قعدتُ، فجاءَت الأعرابُ مِن ها هُنا وَها هُنا، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ أنتَداوى؟ فقالَ: «تدَاووا فإنَّ اللَّهَ عز وجل لم يضَع داءً إلَّا وضعَ لَهُ دواءً غيرَ داء واحدٍ الهرَمَ**»(٢).

وفي هذا الحديث أمر من النبي -صلى الله عليه وسلم- بالتداوي، وتناول العلاج حال المرض، مع التعلق برب الأرباب سبحانه وتعالى.

كما تعرض هذا الجانب أيضا لأمر العدوى وكيف تعامل معها الشرع الشريف، فبين أن الشرع الشريف أمر باتقاء الأمراض المعدية، والفرار من المصابين بها؛ خوفا من انتقال العدوى؛ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**فِرَّ مِنَ المَجْذومِ كما تَفِرُّ مِنَ الأسَد**»(٣). وفي رواية: «**اتَّقوا المجذوم كَمَا يَتَّقِي الأسد**»(٤).

---

(١) الدليل الشرعي للتعامل مع فيروس كورونا المستجد (ص:٤٣-٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٣٨٥٧)، والترمذي برقم (٢١٧٢) في سننهما.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٥٧٠٧).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٢/ ٤٤٣).

وعن عمرو بن الشريد، عن أبيه -رضي الله عنه- قال: كانَ في وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فأرْسَلَ إلَيْهِ النبيُّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: « **إنَّا قدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ**»[1].[2]

وقد اهتمَّ الإسلام الحنيف اهتمامًا بالغًا بالصحَّة العامة، ورسخ كثيرًا من أسس **الطب الوقائي،** التي منها -إن لم يكن أهمها- قانون الحجر الصحي؛ فعن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعونُ آيةُ الرِّجز، ابتلى اللهُ عَزَّ وجَلَّ به ناسًا من عبادِهِ، فإذا سَمِعتم به، فلا تدخُلُوا عليه، وإذا وَقَعَ بأرضٍ وأنتم بها، فلا تفرُّوا منهُ**»[3].

وفي هذا الحديث الشريف بيان لمنهج الدين في التعامل مع الوباء المعدي، سواء في الحالة التي ينزل بها على أقوام آخرين، أو في حالة نزوله بالمسلمين في أرضهم. فمع أن التنقل والسفر حق من حقوق الإنسان وحرية لا ينبغي المساس بها لكن انتشار الوباء في بلد يشكل استثناء، ويوجب على الفرد أن يفرض على نفسه نوعا من الحجر، كما يجب ذلك على الدولة، وهو ما طبقه الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه، حيث كان في سفر متجها إلى الشام وبرفقته وفد يضم عددا من كبار الصحابة، فلما اقترب من البلد المقصود، استقبله أحد الأمراء وقال: إن في البلد طاعونا، فاستشار الصحابة فقالوا له: ندخل، إلا عبد الرحمن بن عوف قال: لا ندخل. واستدل بالحديث، فأخذ عمر برأي عبد الرحمن لوضوح دليله، فقيل له: "أتفر من قدر الله"؟ فقال: "نفر من قدر الله إلى قدر الله"، وفيه تأكيد لما هو متقرر في الإسلام من أن اتخاذ أسباب الوقاية والعلاج لا يتنافى مع الإيمان.

كما تعرض في هذا الجانب -أيضا- لرأي بعض المنكرين لعدوى كورونا بدعوى التوكل على الله تعالى، بما ورد في السنة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر في الأحاديث الصحيحة بأنه لا عدوى.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم (٢٢٣١).

(٢) العدوى بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (ص:٢١-٢٢).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، برقم (٢٢١٨).

فأشار إلى أن المؤثر الحقيقي في الأشياء هو الله تعالى، وأن الأشياء ليس لها تأثير ذاتي، كما أن الأسباب لا تؤثر في وقوع مسبباتها بذاتها وإن حصلت عنها، فحصول المسببات بالأسباب عندها لا بها، ولا بد من إضافتها إلى الله تعالى مشيئة وتقديرا وخلقا وإيجادا.

وعلى ذلك يحمل ما ورد في بعض الأحاديث الشريفة من نفي حصول العدوى؛ كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ، ولا هامَةَ. فقالَ أعرابيٌّ: يا رسول الله، فما بالُ إبلي تكونُ في الرَّملِ كأنَّها الظِّباءُ، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربُها ؟ فقالَ: فَمن أعدى الأوَّلَ؟**»[1].

فأراد النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- لفت الأعرابي إلى أن مردَّ كلِّ شيء إلى قضاء الله تعالى ومراده، وأنه الخالق القادر على كل شيء.

ونفي النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–للعدوى في قوله: «**لا عَدْوَى** » إنما هو نفي لتأثيرها بذاتها وطبعها، لا لوجودها وتقرير ضررها؛ إذ العدوى موجودة، وضررها متقرر، ويدل عليه نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مخالطة المجذوم؛ دفعا لأذاه، وخوفا من عدواه.

الجانب الثالث: الجانب التراثي

استعرض من خلاله الشواهد التي تبرز تميز الشريعة الإسلامية في التعامل مع الأوبئة، فقد كان الإسلام بتشريعاته المتعددة فريدًا في نظرته وتعامله مع الجوائح قبل وقوعها، وحالة وقوعها، وإذا تأملنا ما طبقه العالم اليوم من حجر صحي، وتباعد اجتماعي، ولبس واقيات على الفم وغيرها من الإجراءات الوقائية والاحترازية التي يأخذ بها العالم اليوم لرأيناها ترجمة وتطبيقًا واقعيًّا لهذه المبادئ وتلك التوجيهات التي جاءت بها الشريعة الخاتمة قبل ما يزيد على أربعة عشر قرنًا من الزمان.

من ذلك ما جاء في قول سيدنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم-: «**لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ علَى مُصِحٍّ**»[2].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٧١٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٧٧١).

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: «**كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم– إذا عَطَسَ وضَعَ يدَه، أو ثوبَه على فيه ، وخَفَضَ ، أو غَضَّ بها صوتَه**»[1] . فهذه سنة فعلية تطبيقية يحث من خلالها النبي –صلى الله عليه وسلم– على المحافظة على الهواء خاليا من الفيروسات والرذاذ المتناثر أثناء العطسِ؛ خشية انتقال الأمراض عبر هذا الرذاذ.

وعن أبي قتادة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– : «**إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فلا يَتَنَفَّسْ في الإِنَاءِ**»[2] . وهذا يدل على مدى ما وصلت إليه عناية السنة النبوية المشرفة بنظافة الماء، والمحافظة عليه؛ حيث نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يتنفس في الإناء؛ لأن النفس الخارج من جوف الإنسان قد يحمل ڤيروسات وأمراضا معدية، تنتقل عن طريق النفس[3].

ومن ذلك أيضا تجنب الشرب من فم السقاء إذا كان يشارك الإنسان فيه غيره؛ فقد «**نهي رسول الله عن الشرب من فم القربة أو السقاء**»[4].

الجانب الرابع: الجانب الإفتائي

احتل **الجانب الإفتائي** مساحة رئيسة في الخطاب الديني منذ بدء الجائحة، وذلك في محاولة لتأطير الأزمة بإطار ديني يُسهم في تكييف ممارسة الشعائر الدينية وفقًا لإجراءات الوقاية المتبعة، وعلى النحو الذي يتوافق مع ما أقره الشرع في حالة وقوع وباء أو جائحة، في إطار ما يُعرف اصطلاحًا بـ **(فقه النوازل)**. ومن ناحية أخرى، استهدف هذا الخطاب تنظيم الجانب السلوكي للأفراد وتفاعلاتها في التعامل مع الجائحة.

وبرز جليًّا دورُ دُور الفتوى الإسلامية، وفي طليعتها **دار الإفتاء المصرية**، في مواجهة هذا الوباء المُستشري والهجمة المَرضيَّة؛ فلم تألُ الدار جهدًا في إصدار عشرات الفتاوى الفقهية؛ توصيفًا لأداء العبادات على الوجه الذي يقي خطر استشراء البلاء وبلواه، وتأصيلًا لمشروعية اتخاذ الإجراءات

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٥٠٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٦٣٠).

(٣) منهج السنة النبوية في مواجهة الأوبئة (ص:١٠٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٦٢٧).

التي تحد من انتشاره وتقلل من عدواه، وتفصيلًا لكيفية التعامل مع مرضاه، وتوضيحًا لطرق دفن موتاه، متناولةً جُلَّ الجوانب التي يمكن أن تتأثر بهذا الوباء؛ بدءًا من الموقف العقدي، إلى الجانب الروحي، إلى الأداء الشعائري، إلى التناول الفقهي، إلى السلوك الأخلاقي، إلى الحِراك الاجتماعي، إلى التفاعل الوطني، إلى الالتزام القانوني، إلى غير ذلك مما يحيط به من أحوال وظروف فردية ومجتمعيَّة ووطنية ودولية، ليكون ذلك دليلَ صدقٍ على مرونة الإسلام واستيعابه لكل التغيرات الحياتية، وشاهدَ عدلٍ على قدرته على مواكبة المستجدات والمتغيرات التي تمر بها البشرية، وبرهانَ حقٍّ على صلاحية الأحكام الشرعية للتطبيق في كل الظروف المعيشية، وتحت كل الأحوال البيئية؛ فإن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة إلى العالمين، ولذلك كان صالحًا لكل الأسقف المعرفية، ومتسقًا مع كل الحقائق العلمية، ومستوعبًا لمختلف الأزمنة والأمكنة والأحوال والأشخاص[1].

وجاءت جل هذه الفتاوى الصادرة عن دار الإفتاء والأزهر الشريف مبنية على جملة من القواعد الفقهية التي تدل وتفيد رفع الضرر وجلب اليسر والتخفيف عن الناس، منها:

- قاعدة المشقة تجلب التيسير.
- قاعدة الضرر يزال.
- قاعدة درء المفاسد أولى من جلب المصالح.
- الضرورات تبيح المحظورات
- قاعدة ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

(١) فتاوى النوازل (ص:٥-٦).

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث أستعرض أهمَّ نتائجه التي تمثلت في الآتي:

- شغل الخطاب الديني مساحة هائلة في أزمنة الأوبئة والأزمات، لما له من أثر فاعل في الضبط المجتمعي لمواجهة الوباء.
- ليس من مهام الخطاب الديني تقديم تفسير ديني للوباء، وإنما مهمته بيان منهج الدين في مواجهته.
- الخطاب الديني هو الخطاب الذي يستند إلى مصادر التشريع الإسلامي.
- هناك فرق كبير بين الخطاب الشرعي والخطاب الديني.
- تباينت الخطابات الدينية في تقديم تفسير لهذا الوباء.
- المرض والوباء في الشرع ابتلاء وامتحان، والابتلاء يكون بالخير والشر، ولا تعلم المقاصد الإلهية منه.
- الأوبئة التي تصيب الأمة هي رحمة من الله تعالى لهم.
- فيروس كورونا إن كان في ظاهره بلاء من الله، إلا أنه ليس عقابا منه سبحانه كما يدعي البعض.
- للخطاب الديني الرسمي جوانب عدة في مواجهة الوباء، أهمها: الجانب الإيماني الروحي، الجانب العقدي، الجانب التراثي، الجانب الإفتائي.
- الشريعة الإسلامية-مهما تعاقبت الأزمنة وتجددت الحوادث- قادرة على إيجاد حلول لكل نازلة من النوازل، ملبية لحاجات البشرية في مختلف أعصارها وأمصارها.
- حماية النفس البشرية مقصد أصيل في الإسلام.
- من أهم معالم الخطاب الديني الرسمي؛ الإنسانية، التيسير، العقلانية والمقاصدية، العلم.

نسأل الله العلي القدير أن يحفظنا أجمعين، وأن يجعل بلادنا آمنة مطمئنة سخاء رخاء، وأن يكشف عنا وعن العالمين البلاء؛ إنه سبحانه عليم قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللَّهُمَّ وسَلِّم وبارك على سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصَحْبِه وَسَلِّم تسليمًا كثيرًا.

المصادر والمراجع

- **الإحكام في أصول الأحكام:** للإمام العلامة علي بن محمد الآمدي، تحقيق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.
- **تجديد الخطاب الديني (مفهومه وضوابطه):** أ.د/ عياض بن نامي السلمي، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم-جامعة القاهرة، المجلد السادس، العدد السابع عشر.
- **التدابير الوقائية لمكافحة الأمراض المعدية والوبائية من منظور الفقه الإسلامي والطب الحديث:** د/ حسن عبد الفتاح السيد محمد، كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف-جامعة الأزهر، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- **التفاؤل في زمن الكروب (تلمس لأهم سمات منهج القرآن في عرض موضوع التفاؤل):** د.عبد الله بن محمد العسكر، دار رسالة البيان للنشر والتوزيع-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- **الدليل الشرعي للتعامل مع فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩)**، إعداد: مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية، تقديم: أ.د/ نظير محمد عياد، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- **صحيح البخاري:** الجامع الصحيح المختصر، للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق:د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة -بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- **صحيح مسلم:** المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- **الطب الوقائي في الإسلام:** د.أحمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.

- **العدوى بين الطب وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم:** د. محمد علي البار، دار الفتح للدراسات والنشر.
- **فتاوى النوازل (وباء كورونا ١٩ -COVID)**، أ.د. شوقي إبراهيم علام، دار الإفتاء المصرية، ٢٠٢٠م
- **فقه النوازل (كورونا المستجد أنموذجا)، إشراف وتقديم ومشاركة:** أ.د/ محمد مختار جمعة، وزارة الأوقاف المصرية،١٤١٤هـ-٢٠٢٠م.
- **لسان العرب:** للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري لابن منظور، دار صادر-بيروت.
- **ما رواه الواعون في أخبار الطاعون:** للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق:د.محمد علي البار، دار القلم-دمشق.
- **المحصول في علم أصول الفقه:** للإمام الأصولي النظار المفسر فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- **معجم مقاييس اللغة:** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- **منهج السنة النبوية في مواجهة الأوبئة**، إعداد: لجنة السنة بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، تقديم: أ.د/ أحمد معبد عبد الكريم، ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م.